المكي والمدني

من المعلوم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قضى فترة من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وأقام فيها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.[1] وهذه المدة تنقسم إلى قسمين: مدة إقامة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في مكة قبل الهجرة، ومدة إقامته في المدينة بعد الهجرة، ومن هنا تنوّع القرآن في مجموعه إلى مكي ومدني، وقد عني العلماء والرواة من سلفنا الصالح بتمييز هذين القسمين عن بعضهما واستخراج خصائص كل منهما.[2]

قد عَنِيَ العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب.[3] وهذه المعارف لها فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها.

تحديد المكي والمدني:

للعلماء في تحديد المكي والمدني:

1- اعتبار مكان النزول، فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها كمِنى وعرفات والحديبية. والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأُحد وقُباء. ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة وحصرها، فما نزل بالأسفار أو بتبوك أو ببيت المقدس لا يدخل تحت القسمة، فلا يسمى مكيًّا ولا مدنيًّا، كما يترتب عليه كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيًّا.[4]

2- اعتبار المخاطَب، فالمكي: ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني: ما كان خطابًا لأهل المدينة. وينبني على هذا الرأي عند أصحابه أن ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ مكي، وما فيه من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ مدني.؛ لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة، فخوطبوا بيا أيها الناس أو يا بني آدم، وإن كان غيرهم داخلا فيهم. أما ما صدر من القرآن بعبارة ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ فهو مدني؛ لأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة، وإن كان غيرهم داخلا فيهم.

وبالملاحظة يتبين أن أكثر سور القرآن لم تُفْتَتَحْ بأحد الخطابين، وأن هذا الضابط لا يطرد، فسورة البقرة مدنية، وفيها: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: 21] وقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: 168] ، وسورة النساء مدنية وأولها: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾ [النساء: 1], وسورة الحج مكية، وفيها: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: 77] ، والقرآن الكريم هو خطاب الله للخلق أجمعين، ويجوز أن

---

[1] دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: 123)
[2] الواضح في علوم القرآن (ص: 63)
[3] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 51)
[4] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 61)

يخاطب المؤمنون بصفتهم وباسمهم وجنسهم، كما يجوز أن يؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار والازدياد منها.

3- اعتبار زمن النزول، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو بمكة، أو عرفة مدني.[5]

وهذا الاصطلاح هو أصوب وأشهر الاصطلاحات الثلاثة وأولاها بالقبول، لأنه يأخذ في اعتباره تاريخ النزول، ولهذا أهمية في معرفة الناسخ والمنسوخ واستنباط الأحكام. وعليه فآية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3] مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع. وكذلك آية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: 58] فإنها مدنية، مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.[6]

القرآن الكريم بوجه عام كتاب هداية، ومنهج حياة، بيَّن الله فيه للناس ما يجب لهم، وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، بأسلوب واضح ناصع البيان، وقد كان في مرحلته الأولى يمتاز بمميزات تأسيسية عقدية وشرعية مجمَلة، وكان في مرحلته الثانية يمتاز بمميزات فرعية تابعة لما سبقها, مفصِّلَةٌ لها، ومبينة لشروطها وأسبابها وعللها، وغير ذلك مما يقتضيه مقام البيان والتفصيل.

الطريقة الموصلة إلى معرفة المكي والمدني:

إن الطريقة الوحيدة إلى معرفة المكي والمدني هي الرواية الصحيحية عن الصحابة والتابعين، لأنه لم يرد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيان للمكي والمدني، ولم يكن المسلمون في زمانه بحاجة إلى هذا البيان، إذ هم يشهدون نزول الوحي ومكانه وزمانه وأسباب نزوله.

ومن الثابت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اعتنوا بالقرآن عناية فائقة، فكانوا يحفظون مشاهداتهم لنزول الوحي ويؤرّخون كلّ آية بوقت ومكان نزولها؛ روى البخاريّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **وَاللَّهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّى بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.**

خصائص كلّ من المكي والمدني:

أ- خصائص القرآن المكي والمدني اللفظية أو الأسلوبية:

1 - كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية. وردت في القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن

2 - كل سورة افتتحت بالأحرف المقطعة (حروف التهجي) مثل "الم" "حم" فهي مكية، ويستثنى من ذلك سورة البقرة وسورة آل عمران، فهما مدنيتان بالإجماع، وفي سورة الرعد خلاف.

---

[5] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 60)

[6] الواضح في علوم القرآن (ص: 63)

3 - كل سورة فيها النداء ب (يا أيها الناس) أو ب (يا بني آدم) فهي غالبا مكية، وكل سورة فيها النداء ب (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية غالبا.
4 - السور ذات الآيات القصار (المفصل) غالبا مكية.[7]
كل سورة فيها سجدة فهي مكية لا مدنية سوى سورة الحج.[8]

ب- خصائص القرآن المكي والمدني الموضوعية:

أولا: في القرآن المكي:

1 - ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة، ويستثنى من ذلك سورة البقرة.
2 - تأكيد وحدانية الله وقدرته على بعث الأجساد بعد الموت والحساب، والسخرية من المشركين وآلهتهم وتهديدهم بالعذاب المقيم في النار.
3 - ذكر قصة آدم وإبليس، ويستثنى من ذلك سورة البقرة.
4 - تثبيت فؤاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ودعوته إلى الصبر وتحمّل أذى المشركين.

ثانيا: في القرآن المدني:

1 - ذكر الحدود والفرائض والأحكام التي تنظّم حياة الفرد والمجتمع.
2 - الأمر بالجهاد أو الإذن به أو الحديث عن أحكامه.
3 - ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وكشف مؤامراتهم في المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة.
4 - البحث في شئون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما إلى الكتاب والسنة.
5 - الكلام عن أهل الكتاب وجدالهم ودعوتهم ومعاملتهم.[9]
وهكذا أصبح بالإمكان التمييز بين المكي والمدني عن طريق النظر والاجتهاد،

المدني باتفاق:

1 - سورة البقرة 2 - آل عمران 3 - النساء 4 - المائدة 5 - الأنفال 6 - التوبة 7 - النور 8 - الأحزاب 9 - محمد 10 - الفتح 11 - الحجرات 12 - الحديد 13 - المجادلة 14 - الحشر 15 - الممتحنة 16 - الجمعة 17 - المنافقين 18 - الطلاق 19 - التحريم 20 - النصر.

المختلف فيه:

1 - الفاتحة 2 - الرعد 3 - الرحمن 4 - الصف 5 - التغابن 6 - التطفيف 7 - القدر 8 - لم يكن 9 - إذا زلزلت 10 - الإخلاص 11 و 12 المعوذتين.

والمكي بالاتفاق:

ما عدا ذلك وهو اثنتان وثمانون سورة.[10]

---

[7] الواضح في علوم القرآن (ص: 65-66)
[8] الحديث في علوم القرآن والحديث (ص: 26)
[9] الواضح في علوم القرآن (ص: 66)
[10] الواضح في علوم القرآن (ص: 68)